ـ البطل المقاوم في الحاضر: «لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟». بهذه العبارة المرموزة، ختمت رواية «رجال في الشمس». وبمعنى الفعل التاريخي، يكون معناها «لماذا لا تتحركون لماذا لا تعمل ما يكسر حالة الجمود، ويسقط اوهام المرحلة، وصولاً الى الوطن الام؟». وقد جاءت رواية «ما تبقى لكم» ١٩٦٦، لتعطي الاجابة على هذا التساؤل، متجاوبة مع الواقع الذي بدأ يتفاعل ويتجسد في الوسط الفلسطيني، وهي بذلك لا تطرح اوهاماً، انما تتعامل مع واقع بدأ يتشكل فعلاً، ويأخذ ملامح جديدة. وفي هذه الرواية، نجد الخطوة الاولى نحو الفعل المطلوب، حيث يتغير اتجاه الهرب، ليصبح مساره صحيحاً، نحو الام ــ الارض، مما يحمل صاحبه على مواجهة العدو بعد ان كان محاطاً بالخسائر من كل الجهات، اصبح بإمكانه ان يفوت على خصمه ويجعله ربحاً يضاف الى ما سبق ان حققه.

وهنا بداية الفعل الفلسطيني. ورغم انه لا يزال على مستوى فردي، الا انه كان بداية ضرورية، للحلول في البحر الجماهيري. ولكي يولد الفعل الشعبي المتصاعد، لابد من الفرد ــ الطليعة، وكي يولد «حامد» كان لابد ان يُقتل «زكريا» رمز التخاذل والاستسلام. «حامد» في غزة محاطاً بحساب كله خسائر. امه بعيدة عنه في الاردن؛ حيث تقيم منذ نُبُقوط يافا واستشهاد والده. وقد حملّته اخته «مريم» عاراً كبيراً بحملها سفاحاً من الخائن «زكريا»، «النتن» كما كان يسميه. لقد اضطر ان يزوجها منه خوفاً من الفضيحة، حيث انها ستلد منه بعد شهور خمسة فقط. زكريا هذا يمثل لدى حامد «مجرد اللحظة مصادفة في مكان غير مناسب»[٣٢]. انه النتن الذي خان القضية بوشايته على سالم، قائد المقاومة عام ١٩٥٦ عند دخول اليهود الى قطاع غزة، حيث سقط سالم برصاصهم، وعيون الجميع تتجه نحو زكريا، تتهمه بالخيانة. وليس اقسى على نفسية حامد من هذه اللحظة، التي يضطر فيها لتزويج اخته من هذا الخائن ــ النتن. ولذلك يدبر الهرب من هذا المأزق؛ يريد الابتعاد عن جو الخيانة الذي يحيط به من كل ناحية: زكريا بخيانته لسالم، ومريم بخيانتها لشرفها مع خائن باع القضية بخيانته لسالم وتسليمه للعدو. يريد الهرب من ماض سجن نفسه فيه طويلاً. وهكذا فإن اصرار حامد على الخلاص من الماضي، يضعه امام الخطوة الاولى نحو الفعل. ولما كان هروبه ــ خلاصه نحو امه ــ الارض، تصبح الامور مختلفة متغيرة. وحتى الصحراء تصبح عكس ما كانت عليه في «رجال في الشمس». فهي هنا تصبح كائناً حياً، تتمدد وتتنفس، تمتلئ بالحيوية والحركة، تتضامن مع الذي يدق بخطواته الواثقة على صدرها. اذ لا مفر امامه من تقبيلها والالتحام بها رغم ما تحمله من رعب: «دقات محشودة بالحياة يقرعها بلا تردد فوق صدري، حيث لا صدى ثمة الا الرعب. وهو يخطو فيبدو، امام الجدار الاسود المرتفع وراءه مباشرة، حيواناً ضئيلاً يعقد العزم على رحلة دفء لا نهاية لها... منذ اللحظة التي احسست فيها بخطوته الاولى على الحافة، عرفت انه رجل غريب. وحين رأيته تأكدت من ذلك. كان وحيداً تماماً، بلا سلاح، وربما بلا امل ايضاً. ورغم ذلك فعند اللحظة الرعب الاولى، قال انه يطلب حبي لانه ليس باستطاعته ان يكرهني»[٣٣]. وكلما توغل خطوات على صدر الصحراء ــ الحياة، ادرك انه لابد ان يتخلص من الماضي ــ السالفة، الذي حاصره طويلاً. «وفجأة بدت لي الساعة غير ذات نفع، حيث لا اهمية هنا